خصوصيات التعبوي

المكان: طهران

الزمان: ٢/٤/١٣٨٩ هـش ـ ١٠/٧/١٤٣١هـق ـ ٢٣/٦/٢٠١٠م

المناسبة: ذكرى شهادة الشهيد الدكتور مصطفى شمران[(١)].

الحضور: جمع غفير من أعضاء التعبئة في الهيئة العلمية للجامعات

---

(١) الشهيد شمران: ولد الشهيد مصطفى شمران عام ١٣١١هـش (١٩٣٣م) في مدينة قم، ثم ما لبث أن انتقلت عائلته إلى طهران للعيش فيها بعد عام واحد من مولده. وفي عام ١٣٣٢هـش التحق بالكلية الفنية في جامعة طهران وبدأ دراسته في قسم الهندسة الكهربائية، ولمّا كانت تلك الفترة متزامنة مع مرحلة الانقلاب فإنه اضطلع بالنشاط الواسع في النضال السياسي الشعبي والتظاهرات الخطيرة المناوئة للنظام الملكي. كان يمارس التدريس منذ الصغر ويسدّ حاجياته من ذلك الطريق. وبعد حصوله على البكالاريوس عمل مدرساً في نفس الكلية التي تخرج منها، إلى أن حصل على منحة دراسية لإكمال دراسته في أمريكا حتى درجة الدكتوراة. وبحصوله على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في الهندسة الكهربائية من جامعة تكساس الأمريكية، انتقل إلى جامعة بركلي للحصول على الدكتوراة، وخلال ثلاث سنوات حصل أيضاً على درجة الدكتوراة في الإلكترونيات والفيزياء الحيوية (هندسة الطاقة النووية) بامتياز من جامعة بركلي. كان منخرطاً في نفس الوقت في خضم النضال السياسي والعقائدي. ومن أبرز مآثر حياته السياسية والاجتماعية تأثيره ودوره المتفرد في تأسيس التجمعات الطلابية ضد نظام الشاه وخصوصاً الاتحاد الإسلامي للطلبة في أمريكا. وتوجه إلى مصر مع عدد من أصدقائه المؤمنين لتعلم فنون القتال والاستعداد لخوض الحرب المسلحة ضد النظام البهلوي، ثم أخذ هو على عاتقه مسؤولية تدريب المقاتلين الإيرانيين على تعلم تلك الفنون. هاجر إلى لبنان عام ١٣٤٩ وانضم إلى السيد موسى الصدر، استلم إدارة المدرسة الصناعية في جبل عامل ـ البرج الشمالي وكان يدرس فيها اليتامى من أبناء الشيعة وأسس لهم الشهيد الورش المختلفة في العلوم والتكنولوجيا وقد تشكلت الكوادر الأصيلة للمقاومة الذين واجهوا الإجتياح من طلاب هذه المدرسة. أسس حركة المحرومين لإحقاق حق الشيعة المحرومين في لبنان وعاد وأسس حركة أمل العسكرية التي انبثقت عن حركة المحرومين. قاد المواجهات ضد الأحزاب الكردية اليسارية التي قامت بمواجهات مسلحة للثورة الإسلامية إبان انتصار الثورة في كردستان (پاوه، مريوان، سرو) كما قاد وشارك في المواجهات التي قام بها القوات البعثية لا سيما على الحدود الغربية لإيران (الأهواز، سوسنگرد، الهويزة، مرتفعات (الله أكبر)، بستان، دهلاوية) واستشهد بتاريخ ٣١ خرداد ١٣٦٠ هـش. الموافق ١٩ شعبان ١٤٠١ في جبهة سوسنگرد دهلاوية أثناء اشتباكه مع القوات البعثية المعتدية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنا شاكر جدا وسعيدٌ جداً من أن أصدقاءنا هيّأوا هـذا اللقـاء الجيّـد. فـي الواقع هذا الجمع هو مظهـر جمـعٍ يُظهـر توليفـة العلـم والإيمـان؛ فأسـاتذة الجامعات بصبغتهم الربانية التعبوية هم مظهر تركيبة العلم والإيمان. ولقاؤنا هذا هو لقاء حميمٌ وجيّد. وقد استمعت بدقة إلى كلمات الأصـدقاء وهـم يمثّلـون صلحاءنا، أنتم وهم؛ قد عرض الإخوة الأصدقاء إقتراحات جيدة؛ وبالطبع فـإن بعض هذه الإقتراحات تتعلق بالحكومـة ـ الـوزراء المحترمـون والمـسؤولون حاضرون وعلى أجهـزة الدولـة أن تتـابع تلـك الإقتراحـات ـ وبعـض هـذه الإقتراحات ليست كذلك، بل هي أشمل وأوسع من حدود الأجهـزة التنفيذيـة، مما ينبغي أن نفكر فيه، وإن شاء الله نستفيد منه ونجريه.

والإقتراح الذي يتعلّق بتسمية يوم شهادة الشهيد شمران، باسم يوم «تعبئـة الأساتذة والأساتذة التعبويون»، هو بنظري اقتراح ذو معنـى ومغـزى. فالـشهيد المرحوم شمران كان حقاً نموذجاً ومظهراً لذلك الشيء الذي يـودّ الإنـسان أن تتحرك تربية شبابنا وجامعيينا باتجاهه، فلا بأس بذلك.

وحق هذا الشهيد العزيز أيضاً يوجب أن نتحدث عنه ببضع كلمات. فهـذا الشهيد أولاً كان عالماً؛ كان شخصاً لامعاً وعظيم الإستعداد. وهـو نفـسه كـان يقول لي أنّه في تلك الجامعة التي درس فيها في الولايات المتحدة الأمريكيـة، تلك الدراسات العليا ـ وكما أذكر فإنه كان أحد أفضل إثنين في تلك الجامعة وعلى صعيد ذلك التخصص والفرع العلمي ـ وكان يشير إلى تعامل الأسـاتذة

معه وتطوره في الأعمال العلمية. فقد كان عالماً بكل الموازين. وفي ذلك الوقت كان مستوى الإيمان القلبي لهذا العالم في درجة أنه أعرض عن الإسم والخبز والمقام والعنوان والمستقبل الدنيوي الذي هو بالظاهر عقلائي، وذهب ليكون إلى جانب الإمام موسى الصدر في لبنان ويقوم بالأنشطة الجهادية؛ كل ذلك كان في تلك الفترة التي كان لبنان يمر بأصعب وأخطر مراحل حياته. نحن هنا قبل انتصار الثورة بسنتين كنا نسمع أخبار لبنان وكيف أن شوارع بيروت أضحت متاريساً، ونسمع عن تحركات الصهاينة وكيف أن جماعة من داخل لبنان باتوا يعملون لهم، وكان هناك أوضاع عجيبة ومبكية حاكمة على ذلك البلد، وكانت الساحة كثيرة الفوضى والتشابك.

وفي ذلك الزمان وصلنا ونحن في مدينة مشهد شريطٌ مسجّل من المرحوم شمران، حيث كان ذلك أول ارتباط وواسطة عرّفتنا على المرحوم شمران. وفي الشريط ساعتان من الكلام يوضّح فيه ما كان يجري في الساحة اللبنانية. وكان بالنسبة لنا ملفتاً جداً؛ فبرؤية واضحة ونظرة سياسية في غاية الشفافية والفهم لتلك الساحة ـ ما يجري في تلك الساحة المليئة بالفوضوية، ومَن مع مَن ومَن ضد مَن، وما هي نوايا الأطراف في استمرار هذا التقاتل الداخلي في بيروت ـ كل ذلك في مدة ساعتين في شريط مسجّل أرسله لنا ووصلنا. ذهب إلى لبنان وحمل سلاحه. وفيما بعد أضحى معلوماً أنه يمتلك رؤية سياسية وفهماً سياسياً وصاحب مصباح كشّاف عشوات في تلك الفتنة. فالفتنة تشبه الضباب الكثيف الذي يحول دون معرفة حقيقة ما يجري؛ ولهذا لا بد من وجود مصباحٍ يخترق الضباب؛ وهو تلك البصيرة. فهناك حارب؛ وعندما انتصرت الثورة أوصل نفسه

إلى هنا. ومنذ بداية الثورة كان له حضورٌ في الساحات الحساسة. فـذهب إلـى كردستان وكان له حضورٌ فعّال في المعارك التي جرت هناك؛ ثم بعـدها جـاء إلى طهران وأضحى وزيراً للدفاع؛ وعندما اندلعت الحرب ترك الوزارة وبـاقي المناصب الحكومية والمقامات جانباً وجاء إلى الأهواز[1]، حارب وصمد إلـى حين شهادته بتاريخ ٣١ خرداد لعام ٦٠ هـ.ش. أي أنه لم يكن يعتني بالمقام ولا الدنيا، ولم يكن لكل زخارف الحياة قيمةً لديه.

ولم يكن رجلاً جافاً لا يفهم لذّائذ الحياة، بل على العكس، فقد كان لطيفـاً جداً وذوّاقاً ومصوّراً من الدرجة الأولى ـ وكان يقول لي أنني التقطـت آلاف الصور ولكنني لست في أية واحدة منها، وذلك لأنني دائماً كنت المصوّر ـ فقد كان فنّاناً وصاحب قلب مفعم بالصفاء؛ لم يدرس العرفان النظـري؛ ولعلّـه لـم يدرس على يد أحد في أي مسلك توحيدي أو سلوك عملي، ولكنّ قلبه كـان قلباً باحثاً عن الله، قلباً صافياً إلهياً، من أهل المناجاة والمعنويات.

كان إنساناً منصفاً. ولا بد أنكم على علم بقضية (پاوه)[2]، حيث أن مدخلها

---

(١) الأهواز: هي مركز محافظة خوزستان تقع جنوب غرب إيران.

(٢) پاوه: في الأيام الأخيرة من انتصار الثورة قامت الأحزاب الكردية اليـسارية بتحركـات مـضادة للحكومة المركزية وذلك بإثارة النعرة القومية لدى الشباب الأكراد ورفع شعار الحكم الذاتي. وقد بـدأت الأحزاب اليسارية الكردية مواجهتها المسلحة للثورة الإسلامية بالهجوم على مقر مهابـاد وانتـزاع أسـلحة القواعد الحدودية والاستيلاء على مدينة سرو الحدودية وقتل خمسة وعشرين من عناصر الحرس الثـوري في مدينة مريوان. وكانت غائلة پاوه هي المؤامرة الأخرى للأحزاب اليسارية الكردية فيما بعد؛ ففي تاريخ ١٣٥٨/٥/٢٤هـش بدأ الهجوم على مدينة پاوه، ووصل ذروته في منتصف الليـل وظـل متواصـلاً بعنـف طوال اليوم التالي. وكانت المدينة على وشك السقوط عندما حلقت المروحية التـي كانـت تقـل الـشهيد

كان في المرتفعات، فبعد عدة أيام من المعارك هناك وقع المرحوم شمران مع عدة من أصحابه في محاصرة؛ وأحاط بهم أعداء الثورة من جميع الجهات وكادوا يصلون إليهم، حينها اطلع الإمام على القضية وأصدر بياناً إذاعياً أوجب على الجميع أن يتحركوا باتجاه پاوه؛ ولقد أذيع بيان الإمام في الثانية بعد الظهر؛ وفي الساعة الرابعة شاهدت في شوارع طهران كيف أن الشاحنات بمختلف الأحجام كانت مليئةً بالمدنيين والعسكريين وغيرهم وهي تتحرك من طهران وغيرها من المحافظات باتجاه پاوه. وبعد حادثة پاوه، عندما رجع المرحوم الشهيد شمران إلى طهران وكنا في اجتماع، أراد أن يقدّم تقريره إلى رئيس الوزراء في ذلك الوقت، وكانت تربطه به منذ القدم علاقة حميمة. وفي ذلك الإجتماع قال المرحوم شمران: عندما أذيع بيان الإمام في الساعة الثانية وبمجرد بثّه وقبل أن يصل أي خبر عن تحرك الناس شعرنا وكأن الحصار قد فُكّ. كان يقول أن حضور الإمام وعزمه وبيانه كان مؤثراً إلى درجة تشبه في سرعتها البرق الخاطف وبمجرّد أن وصل البيان كأن كل الضغوط الّتي كانت

شمران هو والشهيد سرافراز والجنرال فلاحي في أجواء المدينة. بعث الدكتور شمران بالشهيد الجنرال فلاحي في أول فرصة إلى كرمانشاه لتوفير الأمتعة والمعدات وتقديم تقرير حول الأوضاع، بينما أخذ هو على عاتقه قيادة العمليات في أسوأ ظروف ممكنة. وكانت خطوته الأولى بعث الأمل من جديد في نفوس رجال المقاومة في هذه الظروف الاستثنائية؛ فمن بين ستين من مقاتلي الحرس الثوري القادمين من مناطق أخرى لم يكن قد بقي سوى ستة عشر شخصاً، من بينهم ستة أو سبعة من الجرحى، بينما كان العشرة الباقون يصارعون الموت وقد تغلب عليهم التعب والتهالك والجزع والجوع في ظروف صعبة للغاية بعد أسبوع كامل من الحصار.

وپاوه: مدينة تقع غرب إيران على الحدود العراقية الإيرانية ضمن مقاطعة كرمنشاه وتبعد عنها ١١٢كم، وغالبية سكانها من الأكراد.

علينا إرتفعت وفقد أعداء الثورة معنوياتهم، ودبّ فينا النشاط وهجمنا عليهم وحطّمنا الحصار واستطعنا أن نخرج. هناك غضب رئيس الوزراء وعتب على المرحوم شمران قائلاً بأننا نحن قمنا بكل هذه الأمور والمساعي فلماذا تنسب كل ذلك إلى الإمام؟! أي أن المرحوم شمران لم يجامل أبداً، بل كان منصفاً. مع أنه كان يعلم بأن هذا الكلام سوف يوجد عتاباً ولكنه قاله.

كان التواجد والمشاركة بالنسبة له أمراً دائمياً. فقد ذهبنا معه من هنا إلى الأهواز؛ فأول ذهاب لنا إلى الجبهة كان معه. وفي عتمة الليل دخلنا إلى الأهواز. كان كل شيء خامداً. وكان العدو مستقراً على بعد (١١ كلم) من مدينة الأهواز. وكان معه حوالي سبعين رجلاً أحضرهم معه من طهران؛ أما أنا فكنت لوحدي؛ وقد ذهبنا إلى هناك جميعاً بطائرة سي١٣٠، وبمجرد أن وصلنا وقُدّم لنا تقرير عسكري مختصر طلب من الجميع أن يتهيّأوا ويلبسوا لباس الحرب للذهاب إلى الجبهة. كانت الساعة حوالي العاشرة ليلاً، وهناك وبدون تأخيرٍ جلب للذين كانوا معه ولم يكن لديهم اللباس العسكري، ثياب المجندين وألبسهم إياها، فلبس الجميع. وبالطبع قلت له أيمكنني الذهاب أيضاً؟ لأنني لم أكن أفكر أنني أستطيع أن أشارك في ميدان القتال. فشجّعني وقال: أجل، أجل، يمكنكم أيضاً أن تأتوا. وهناك مباشرةً خلعت ثيابي وارتديت اللباس العسكري وحملت الكلاشنكوف الذي كان معي وذهبت. أي أنه من الساعة الأولى؛ بدأ ولم يسمح أبداً بتضييع الوقت، فانظروا هذا هو الحضور. فهذا يمثل أحد خصوصيات خصلة التعبئة وتيار التعبئة. «أن لا يفتقدك حيث ينبغي أن تكون». فهذه إحدى أولويات خصوصيات التعبوي.

وفي يوم تحرير مدينة سوسنگرد[1]، (فأنتم تعلمون أن سوسنگرد احتُلّت؛ ثم حرّرت، ثم احتُلت مرة ثانية، ثم بعد ذلك تمّ التحرّك وحُرّرت)ــ فقد بُذل الكثير من المساعي من أجل إمدادنا بالعديد ـ من قوات الجيش، التي كانت في ذلك الوقت تحت إمرة البعض ـ ومن أجل تنظيم الهجوم والقبول به. وفي ليلة يوم الهجوم المقرر من الأهواز باتجاه سوسنگرد، جاء الخبر في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بأنهم أخرجوا من الميدان إحدى الفرق التي كان من المقرر أن تشارك في هذا الهجوم. مما كان يعني أن الهجوم لن يتحقق أو أنه سيفشل تماماً. وقد كتبت في ذلك الوقت مذكرةً إلى قيادة الفيلق المتواجد في الأهواز وعلّق المرحوم شمران عليها ـ ومؤخراً جاءني ذلك القائد المحترم وقدّم لي نفس تلك المذكرة موضوعة في إطار جميل وقدّمها لي كذكرى بعد مرور ثلاثين سنة تقريباً وهي الآن في يدنا ـ وكنا معاً إلى ما بعد الساعة الواحدة من منتصف الليل نسعى أن يتحقق الهجوم في اليوم التالي بشكل حتمي. ثمّ ذهبت إلى النوم، وانفصلنا. فاستيقظنا في الصباح الباكر، وتحركت القوى النظامية ـ قوة الجيش ـ ونحن أيضاً مع مجموعة من الأشخاص الذين كانوا معنا سرنا خلفهم. عندما وصلنا إلى منطقة العمليات، سألت أين شمران؟

---

(١) سوسنگرد : أصرّ صدام على احتلال سوسنگرد بعد أن يئس من دخول أهواز، فهاجم سوسنگرد للمرة الثانية وحاصرت دبابات العدو المدينة لمدة ثلاثة أيام، إلى أن استطاع عدد من أفراده دخول المدينة في اليوم الثالث. ولأن الدكتور شمران كان في شدة القلق بسبب محاصرة عدد من زملائه ومقاتليه الأبطال في تلك المدينة، فإنه وبعد مداولات متعددة مع آية الله الخامنئي، وضع الجيش على أهبة الاستعداد لشن هجوم غير متكافئ ولأول مرة؛ كما نظم القوات الشعبية وقوات الحرس الثوري بجانب قوات الجيش وهاجم العدو من طريق أهواز سوسنگرد..

قالوا أن شمران قد جاء في الصباح الباكر واتجه نحو الأمام. أي أنه قبل أن تتحرك القوى النظامية المطلوبة ـ والتي وُضعت لها خطة التحرك وكيفية الإنتشار ـ وقبل أن يتقدموا كان شمران قد تحرّك إلى الأمام مع مجموعته لعدة كيلومترات. فيما بعد ولله الحمد تحقق ذلك العمل الكبير وقد جُرح شمران. رحم الله هذا الشهيد العزيز. لقد كان شمران هكذا. لم تكن الدنيا ولا المناصب تهمّه؛ لم يهمّه الخبز والإسم ولم يكترث لمن يُنسب الإنجاز. كان منصفاً لا يجامل، وشجاعاً شديداً. ففي نفس الوقت الذي كان مثالاً للطف والرقة والشاعرية والعرفان، كان في مقام الحرب جندياً شديداً.

وكنت بنفسي أراه يعلّم قواتنا كيفية رمي الـ آر بي جي، لأن هذا السلاح لم يكن ضمن عتادنا ولم نكن نمتلكه، كذلك لم نكن نعرف كيف نستخدمه. أما هو فقد تعلّم ذلك في لبنان وكان يُطلق عليه نفس الإسم باللهجة العربية آر بي جي؛ فكنا نقول R.P.G.، وكان يقول آر بي جي، وقد تعلّم هذا من هناك؛ وقسمٌ من ذلك قد تلقّاه من طرق محددة؛ كان يدرّب على كيفية استخدام الـ آر بي جي. ففي ساحة العمليات وفي ساحة العمل كان الشهيد رجلاً عملياً بشكل كامل. والآن أنظروا إلى عالم فيزياء البلازما هذا مع رفعة درجته، وهو في شخصية مسؤول مجموعة يدرّب على العمليات العسكرية كل ذلك مع تلك المشاعر الرقيقة وذلك الإيمان القوي وتلك الصلابة؛ فماذا تكون التركيبة.

وهذا هو العالِم التعبوي؛ الأستاذ التعبوي هو هذا النموذج. وقد كان شمران الأنموذج الكامل الذي قد شاهدناه عن قرب. ففي شخصية مثل هذا الرجل يكون الكلام حول التضاد بين التقليد والحداثة كلاماً فارغاً؛ ويكون

التضاد بين الإيمان والعلم مضحكاً، هذا التضاد المختلق والتضاد الكاذب ـ الذي يُطرح كنظرية ولأن امتداده العملي بالنسبة للبعض يكون مهماً فإنهم يتبنونه. مثل هذه الأمور كانت فاقدةً للمعنى بالنسبة لمثل هذا الإنسان. فقد كان العلم موجوداً وكذلك الإيمان؛ وكان التقليد موجوداً وكذلك التجدد؛ وكان التنظير موجوداً وكذلك العمل، وكان العشق موجوداً وكذلك العقل. وكما قيل:

لا يمتزج ماء العقل مع العشق   مشكلتي أنني صنعت من الماء والنار

كلا، فالشهيد كان مزيج الماء والنار. ذلك العقل المعنوي الإيماني لا يتنافى مع العشق أبداً؛ بل هو دعامة ذلك العشق المقدّس والطاهر.

حسناً، إن ما نتوقعه ليس بالأمر الكثير؛ فالأرضية التي نراها، من روحيتكم المليئة بالنشاط، وهذه القلوب الطاهرة والصافية، وهذه الأذهان البيّنة، وأفكاركم الناظرة إلى الأفق البعيد وعلى مختلف الأصعدة هي شاهدٌ قريب ـ هو يبعث هذا الأمل وهذا التوقع في الإنسان، فهذه هي نتاجات جامعة الجمهورية الإسلامية ـ وليس إستثناء بل على نحو القاعدة ـ أن يكونوا أمثال شمران؛ فليس أمثال شمران إستثناء. فهذا الأمل والرجاء ليس في غير محله.

لو قيل لكم أنتم الذين اجتمعتم قبل ١٣ سنة من مشهد واصفهان ومن جامعة العلم والصناعة تحت عنوان أساتذة التعبئة بأنه بعد ١٠ سنوات أو ١٢ سنة ستكونون عدة آلاف من الأساتذة التعبويين بنفس هذه الدوافع وهذا العشق وهذه التوجهات على مستوى البلاد لما كان أحدٌ ليصدّق ذلك؛ لكنه حصل. لا أريد أن أبالغ؛ ولا أريد أن أظهر الواقعية بأكثر مما هي عليه بالنسبة لي ولكم

من أجل أن نرضي أنفسنا بالأوهام؛ كلا، فمن الواضح أننا لسنا جميعاً على مستوى واحد، وبعضنا أفضل، وبعضنا أقل، إيماننا، عشقنا، هممنا، دوافعنا ـ لكن هذا التيار قد تبدّل من تيار ضيّق ـ لم يكن البعض يأملون ببقائه والبعض الآخر قد عقدوا العزم على إزالته ـ إلى تيارٍ لا يمكن اليوم الوقوف مقابله: التيار العظيم للأساتذة الثوريين والمؤمنين والتعبويين على مستوى الجامعة وفي مختلف الفروع العلمية وفي الدرجات العلمية العالية. وهذا التوقع إذاً، ليس في غير محلّه: فعندما يشاهد الإنسان هذا التحرك وعندما يرى هذا النمو، لا يكون توقعنا في غير محلّه إذا أردنا أن تكون جامعة الجمهورية الإسلامية محلاً لتربية عناصر في المستقبل، أمثال شمران. فهناك ستشاهدون ماذا سيحصل! نظامٌ بموازين دولية في الدرجة العالية: في المجالات الإنسانية، والحكومية، والمرأة، والمجالات الأخلاقية، والعلمية. فإنّ التطلعات التي نعيشها اليوم هي بالمستوى الدولي.

والآن فإن البعض ـ من وسائل الإعلام وغيرهم ـ بمجرد أن يرد ذكر الدولي يضحكون سخريةً؛ هؤلاء لا يفهمون ولا يدركون ماذا يعني أفق الرؤية الواسع. فما لم تنظروا إلى القمة لا يمكن أن تتحركوا إلى السفح؛ فكيف إذا كان الأمل هو الوصول إلى القمة؛ الهمّة العالية. في رواياتنا يوصّى المؤمن أن يكون له همّة عالية. وعظماؤنا يقولون للسالك فلتكن همّتك عاليةً. فهذه الخطوات الأولى والفتوحات التي تكون في بداية العمل، لا ترضي الإنسان، بل ينبغي أن يكون لديه همّةٌ عالية. وينبغي أن تكون النظرة إنسانية، الإنسان الذي يمتد على كل هذا العالم الواسع: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في

الخلق»[1]، فعلى هذه النظرة أن تتوجه إلى هذه الشمولية والسعة.

إن الأماني التي نحملها اليوم بشأن هذا البعد الوسيع هي أمان لا يرفضها أي شعب واعٍ أو عالمٍ صالح أو سياسي منصف. إننا دعاة إزالة نظّام التسلّط والهيمنة؛ الذي يقوم على رابطة الهيمنة ووجود المتسلِّط والمتسلَّط عليه؛ فحتى من يعيش في دولة حكومتها متسلّطة مئة بالمئة لا يرفض هذا الأمر؛ وعليه ففي العلاقات الدولية لا ينبغي أن تكون العلاقة مبنية على وجود مهيمن ومهيمن عليه. وكذلك العدالة واستخدام العلم ينبغي أن يكونا من أجل أمن البشرية لا تهديداً لها. وخاصة بعد العصور الحديثة، من عصر النهضة إلى يومنا هذا؛ خصوصاً في القرن الأخير، فإن الكثير مما أنجز على صعيد العلم بدل أن يكون لرفاهية وأمن البشرية كان تهديداً لها؛ إما أنه كان تهديداً للروح أو الأخلاق أو الأسرة وتشجيعاً على الاستهلاك وتعبئة جيوب الناهبين الدوليين وأصحاب الشركات والكارتلات ومؤسسوها. نحن نقول أن العلم ينبغي أن يكون بدلاً من ذلك في خدمة الإنسان وفي مصلحة أمنه ورفاهه وفي خدمة الروح والنفس. فهذا الكلام لا يمكن للعالم أن يرفضه.

أتدرون إلى أين يمكن أن يصل النظام الذي يحمل هذه الأهداف وهذه الخصائص ـ مع إعمال الهمة الإيمانية على طريق التطور في هذه الميادين وبالاستفادة من الوعود القرآنية في مجال نصرة المؤمنين وعدم الخوف من الموت وعدّ الموت وصولاً إلى الله وشهادة لله ـ وهو يفتخر ويتزين بشخصيات علمية وصالحة من قبيل شمران؟! هذا هو ذاك التوقع الذي نحمله.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

وأما فيما يتعلق بالتعبئة فأقول: كانت التعبئة حركة مدهشة لا نظير لها، حدثت في الثورة. وهي نهضة نبعت من منبع الحكمة الإلهية التي أودعها الله تعالى قلب ذلك الرجل الكبير، إمامنا العظيم. كان الإمام حكيماً، وحكيماً بالمعنى الواقعي. نحن أحيانا نستعمل لفظ الحكيم لأشخاص صغار. لكنه كان حكيماً بالمعنى الواقعي. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثيرا﴾. فقد وهبه الله تعالى الحكمة. وكانت الحقائق تنهمر من قلبه وتنهال منه. ومنها قضية التعبئة؛ فالإمام منذ اليوم الأول للإنتصار بل حتى قبيل الإنتصار كان قد وضع أسس التعبئة من خلال جر الشعب إلى الميدان ووضع حمل النهضة على أكتاف الناس واثقاً بهم معتمداً عليهم. فعندما وثق بالناس، انبعثت ثقتهم بأنفسهم. ولو لم يثق الإمام بالشعب لما حصلت لهم هذه الثقة بالنفس. فهناك وُضعت اللبنة الأولى للتعبئة. وفي الواقع نشأت قوات الحرس من التعبئة؛ وكذلك جهاد البناء؛ وإن لم تكن التعبئة منظمةً مسجلة ومدونة كما حصل في السنوات اللاحقة، لكن ثقافة التعبئة وحركتها وحقيقتها كانت منشأ خيرات عظيمة للبلد وللمجتمع والنظام الإسلامي. التعبئة تمثل هذه الحقيقة. فالتعبئة في الواقع عبارة عن جيش شامل لا تجد فيه صبغة الإدعاء وعلى صعيد البلد كله. وهو جيش مستعد للجهاد في جميع الميادين. وليس فقط في الميدان العسكري. فإن الميدان العسكري هو زاوية محدودة مؤقتة. فالحرب لا تكون دائماً.

إن ميدان تواجد التعبئة أوسع بكثير من ميدان العسكر. فما قلته مراراً وتكراراً بأنه لا ينبغي إعتبار التعبئة مؤسسة عسكرية لم يكن مجاملة؛ بل إن

حقيقة القضية هي هذه. فالتعبئة هي ساحة الجهاد. لا القتال. فالقتال يمثل جانباً من الجهاد. الجهاد يعني الحضور في ميدان المجاهدة مع السعي الهادف والإيمان. هذا ما يصح أن نقول عنه جهاداً. لهذا فإنّ ﴿جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ أي الجهاد بالنفس والجهاد بالمال. فأين يكون الجهاد بالنفس؟ هل ينحصر بالذهاب إلى الحرب وحمل الأنفس على الأكف لتقديمها؟ لا، فإن أحد أنواع الجهاد بالنفس هو أن تقضوا وقتكم من المساء وحتى الصباح على مشروع تحقيقي أو بحثي دون أن تلتفتوا إلى مرور الوقت. الجهاد بالنفس هو أن تضحوا بأوقات ترفيهكم وراحة أجسامكم وتعرضوا عن ذاك العمل الذي يدر الكثير من المال والمدخول ـ وبقول الأجانب مصنع المال ـ وتقضوا وقتكم في هذا المحيط العلمي والبحثي حتى تستنبطوا حقيقة علمية حية وتقدموها كباقة ورد إلى مجتمعكم؛ هذا هو الجهاد بالنفس. وقسم صغير منه هو الجهاد بالمال.

فميدان التعبئة إذن هو ميدان عام. لا يختص بفئة أو قطاع أو منطقة من البلاد، لا يختص بزمان دون آخر؛ ولا ينحصر بميدان دون غيره. فهو موجود في كل الأمكنة والأزمنة والميادين والشرائح. هذا هو معنى التعبئة.

وها أنتم تريدون وجود تعبئة داخل الجامعات.. معلوم ماذا ينبغي أن نفعل. فماذا تحتاج الجامعة؟ وماذا تحتاج البلاد؟ إننا منذ سنوات نطرح قضية العلم؛ وأنتم انظروا اليوم إلى الكثير من الضغائن والمنافسات والحسرات والإحساس بالتخلف الذي يشعر به أعداؤنا الدوليون تجدونها كلها بسبب تقدمكم العلمي. والذين يمدحون إيران اليوم فإنما يفعلون ذلك لهذا الأمر أيضا. ومن يضمر لنا

العداء فلأجل العلم. فتطوركم العلمي له مثل هذا الأثر.

ومثل هذا الأمر لا زال خطوة أولى. فنحن لم نفعل شيئا لحد الآن. أجل في تقنية النانو والبيوتكنولوجي وأبحاث الذرة والأبحاث الفضائية وغيرها من الفروع العلمية تحققت تطورات علمية مهمة وكبيرة؛ ولكن هذه الأمور ليست بشيء بحسب معيار الحركة العلمية لدولة. ذكر لي أحد الأصدقاء، ما عندي أيضاً إحصاءاته، أن سرعة التطور العلمي والإنتاج العلمي في بلدنا بلغت أحد عشر ضعف المعدل العام في العالم. وقد ذكر هذا الأمر أحد مراكز الأبحاث الغربية في كندا بتفاصيله. وبالطبع فإن هذا الرقم يحكي عن المعدل العام. ففي بعض القطاعات يتجاوز ٣٥ ضعف ما في العالم؛ وفي بعض القطاعات هو أقل؛ أما معدله العام فيبلغ أحد عشر ضعفا. أي أن سرعة تطورنا العلمي طوال هذه السنوات الخمسة عشر قد وصلت إلى ما يعادل أحد عشر ضعف ما هو موجود في العالم. وهو أمر في غاية الأهمية. لكنه في نفس الوقت خلاف ما نتوقعه ونسعى إليه. فهو أقل بكثير مما نريده. وينبغي أن نستمر على هذه السرعة حتى نصل إلى ما نصبو إليه؛ وهذا ما تحتاجه الجامعة.

ما هو لازم في الجامعة تربية الإنسان على طراز الشهيد شمران. فالاستاذ التعبوي إذن يعلم ماذا ينبغي أن نقوم به في الجامعة. هذا التواجد الدائم وفي المكان والزمان المناسبين، هذا التواجد المخلص الجهادي بالنسبة للأستاذ التعبوي هو بهذا المعنى الذي قيل. وللأستاذ دور كبير هنا. فدور الأستاذ في البيئة التعليمية هو دور بارز جداً ومهم. لأنه ليس مجرد ناقل للعلم. بل يمكن أن يحقق مسلكاً تربوياً. فيكون بذلك مربياً. فإن تأثير الأستاذ في الطالب

بحسب الظاهر هو أكبر من تأثير باقي العوامل المؤثرة في تطوره العلمي والمعنوي والمادي؛ وهو حتماً أكثر من البعض بكثير. فقد يتمكن الأستاذ أحياناً من إيجاد تبدل في صفه أو مجموعة طلابه أو المتعلم بجملة واحدة يقولها فيجعلهم متدينين. وليس من الضروري أن يكون مدرساً لفرع العلوم الدينية أو صف المعارف [الإسلامية]. فقد يكون الدرس في الفيزياء أو الرياضيات أو غيرها ـ سواء في العلوم الإنسانية أو غيرها ـ وتجري كلمة واحدة على لسانكم بالإستفادة من آية قرآنية أو بإشارة إلى قدرة الرب والصنع الإلهي فتستقر في قلب هذا الشاب وتحوله إلى إنسان مؤمن. هكذا يكون الأستاذ.

ويوجد عكس هذا أيضاً. فللأسف هناك أساتذة في جامعاتنا اليوم ـ وإن كانوا قلةـ يعملون على العكس تماماً، ومهما كان تدريسهم. سواء كان له علاقة أم لاـ فبكلمة واحدة يجعلون هذا الشاب آيساً من مستقبله أو مستقبل بلده، ويؤيسونه من التواجد في بلده ويجعلونه غير مبال بتراثه ومتلهفاً للنهل من تلك المنابع الملوثة للأجانب ومن ثم يتركونه. فلدينا من هم هكذا. فللأستاذ مثل هذا الدور. وبناء على هذا المعنى الذي فهمناه حول التعبئة والمعنى الذي نضعه للأستاذ والفهم الذي نحمله عن الأستاذ التعبوي، نعلم كم هو حساس دوركم في الجامعة.

إن وجود هذه المجموعة يعد نعمة للنظام الإسلامي. نعمة كبرى. فكل هؤلاء الأساتذة المؤمنين الموجودين في بلدنا لا يمكن أن نجد لهم نظيراً في أية دولة من الدول الإسلامية ـ وبطريق أولى في غير الإسلامية منها. أساتذة جامعات، علماء، متخصصون، محترفون في مجالهم، ومؤمنون بالله وبالجهاد،

ومؤمنون بطريق الله والأهداف الإلهية. وفي نفس الوقت بهذا العدد الكبير وهذا الكم. فلا شك أنه لا نظير لهم في العالم. وكل هذا من بركات الإمـام العظـيم. فاعرفوا قدر هذا واحفظوه بكل وجودكم. ضعوه في مكانـه ونظمـوه وحـددوا أهدافه ودققوا؛ واجعلوا الأنشطة التي ينبغي أن يقوم بها الأستاذ التعبوي شـفافة وواضحة؛ بالمعنى الواقعي للكلمة وكونوا قادة هذا الميدان العظيم للجهاد فـي سبيل الله. فهو عمل مهم جداً.

فالبلد اليوم بحاجة إلى هذه الأشياء. وهو ليس قضية اليوم، فالحاجة دائمة. غاية الأمر أننا اليوم في مرحلة حساسة. إذا أردت أن أذكـر لكـم لـبّ فهمـي وفكرتي ـ ولعله لا يتسع هذا المجال المختصر لبيان دليله، غايـة الأمـر أنـه لا يصح أن يستدل عليه بكلمة أو كلمتين ـ فهو أن مراكز الإستكبار العالمي فـي مواجهتها للحركة الإسلامية التي تمثل الجمهورية الإسلامية مظهرهـا الحقيقـي، باتت تبذل آخر ما لديها. ففي الكثير من الميادين وصلت مساعيهم وتـدبيراتهم إلى طرق مسدودة وأسقط من يدهم. فالحزام الذي طوقوا به القـضايا العالميـة وحوطوها به بات في أكثر المناطق حساسية في الأرض وهو الـشرق الأوسـط ممزقاً أو واهنا؛ وهذا بالحد الأدنى. ولكن بنظري فإنه أصبح متمزقاً وقد خـرج الأمر من أيديهم.

رحم الله المرحوم الشيخ حسين لنكراني هذا الروحاني الـسياسي المعتـق. فقد كان يشبّه وضع النظام الطاغوتي فيما قبل إنتصار الثـورة بـثلاث أو أربـع سنوات أو لعلها قبل ذلك ـ السنوات الأخيرة من أربعينـات التـاريخ الهجـري شمسي ـ بذلك الشخص الذي صعد إلى قبة وبيده منشفة حريرية مليئة بالجوز؛

وقد انخرقت المنشفة وبدأ الجوز يتساقط منها؛ فهو يريد أن يلتقطها لكنها تتساقط من هنا وهناك، وهو جالس على القبة! فالمرء يحتاج إلى أرض مستوية حتى يتمكن من جمع الجوز.

وبرأيي فإن نظام الهيمنة اليوم يعيش نفس هذه الحالة في مواجهة الحركة الإسلامية. فمحل قدميه ليس ثابتاً لأن الكثير من خططه الإعلامية المحكمة القديمة قد انكشفت للناس. ففي يومنا هذا تتزايد حالة السخط الشديد من نفوذ اللوبي الصهيوني القوي في المجتمع الأمريكي. وهذا السخط بين شعب أمريكا التي تمثل مركز تحرك الصهاينة وأصحاب النفوذ الصهيوني والرأسماليين الصهاينة يحصل بالتدريج؛ بالطبع فإن النظام الحاكم في أمريكا يمارس تشديداً كبيراً على الناس ـ وهو تشدد من نوع خاص ـ ويشغلهم بأمور المعيشة ومشقاتها بحيث لا يبقى لديهم فرصة لحك رؤوسهم؛ وفي نفس الوقت فإن هذه الحالة نجدها تحصل. فهذه معلوماتنا الموثقة. وفي الدول الأوروبية يحصل الأمر بنحو آخر. أما حال الدول الإسلامية فمعلوم. وكذلك دول الشرق الأوسط. فالشعوب تتنفر ـ وأحياناً تبغض ـ نظام الولايات المتحدة وجماعة الهيمنة في العالم. فهذه أمور لا يمكنهم إلتقاطها؛ فهم في حالة سعي لكنهم لا يقدرون على جمع الأمور.

لو لم يبرز نظام الجمهورية الإسلامية في العالم ولم يظهر، لما برزت لهم هذه المشكلة بهذه السرعة ولعل الأمر كان ليطول لأكثر من خمسين سنة؛ بل حتى ما كان ليبرز بهذه السرعة أيضاً. لكن حضور الجمهورية الإسلامية وظهورها صعب العمل عليهم؛ لهذا نجد عداءهم الشديد. فهم يعادون لكن هذا

العداء جزاف وتخبط. فالعداوات تكون من هـذا القبيـل. وهـا هـي أعمـالهم وتدابيرهم وغوغائيتهم وضجيجهم ودعاياتهم اللاحقـة؛ مـن قـرار فـي الأمـم المتحدة وحظر بعض المنتجات وتضخيم هذا الحظر فيما بعد وإعطائـه أهميـة أكثر من الواقع ثم الإحتفاظ بالخيار العسكري ضمن البند المذكور؛ كل ذلـك لأنهم منفعلون في مواجهة هذه الحركة الإسلامية العظيمة والتأسيسية فـي كـل العالم الإسلامي. وشعب إيران هو في مقدمة هذه الحركة.

لا شك بأنهم سوف يوجدون صعوبات وإزعاجات. ففـي كـل التفـاعلات الإجتماعية يوجد عوائق، لكن الإنسان يتحملها من أجل مصالح أكبـر، ولكـي يصل إلى محل أعلى. واليوم فإن الأمر كذلك. لهذا، فإن هذه المرحلة تعد مـن هذه الناحية حساسة وتحتاج إلى العمل والسعي.

ففي الدرجة الأولى فإن العمل العلمي والتحقيقي والبحثي والعمل المعنوي والإيماني وتحكيم روحية المجاهدة والجهاد على جميع الأنشطة في الجامعات هي أمور أساسية ينبغي أن تتحقق. ومن ثم القيام بتوجيه هذه الحركة. لا شـك أن إعتقادي بأن الأستاذ المتدين المحب للعمل من أجل بلده لا ينحصر وجوده على مستوى البلد بين هذه المجموعة من تعبئة الأساتذة؛ فهناك الكثير ممـن لا يحملون بطاقة التعبئة وليسوا ضمن مجموعة أساتذة التعبئة ولكنهم مـن حيـث الواقع تعبويون ومتدينون وفي حالة الجهوزية ـ وبالطبع فإن مستوى الجهوزيـة ليس على السواء عند الجميع دوماً وكذلك مستوى الإيمان وهو أمر كان علـى هذا المنوال وسيبقى فيما بعد ـ لكنهم في هذه المجموعة. فينبغي التوجه إلـى الأهداف، وينبغي امتلاك النظرة العقلائية والمدبرة وتحديد البرامج وتـشخيص الأهداف؛ فهذا عمل ينبغي القيام به. وهو يقع على عاتق مجموعتكم.

وهناك تجب متابعة العمل الفردي المتعلق بالتعليم والحضور في البيئة الفكرية للطلاب. فأساتذة التعبئة يمكن أن يكون لهم حضور معنوي وهاد ومطمئن لقلوب طلاب الجامعات ولأذهانهم. والدور المهم المتعلق بإيجاد البصيرة، سواء في نفس هذه المجموعة أو في مجموعة مخاطبيكم الذين هم الطلاب، هو من الأعمال الفائقة الأهمية. وللبصيرة دور مصيري. والتمرن على التواجد. مثلما قلت بشأن الشهيد شمران الذي كان يتابع الأعمال حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وعند الصباح الباكر المعتم أو المسفر كان يتواجد قبل الجميع في الجبهة وفي كل مكان يلزم. فعلينا أن نتمرن على التواجد الدائم وفي الزمان والمكان المطلوبين. علينا جميعاً أن نتدرب على هذا الأمر.

الإتحاد والتلاحم في الداخل وإسراء هذا الإتحاد إلى مجموعة الجامعة. إخواني، أخواتي، أعزائي! إن البلد اليوم بأمس الحاجة إلى وحدة الكلمة. وإنني أخالف أي كلام أو تحرك أو كتابة ـ وإن كانت بنية سليمة ودافع صادق ـ تؤدي إلى الشقاق والتصدع. فأنا لا أوافق على هذا. وإذا أراد أحد أن يعرف رأيي فهو ما ذكرته. فعلينا إيجاد الإنسجام. وعلينا أن نحقق التلائم في مجموعة هذه الإمكانات العظيمة. ألا يمكن والحال هذا تقسيم هذا التجمع الموجود هنا إلى عشر مجموعات وتحت ذرائع مختلفة؟! بكل سهولة يمكن ذلك. فيمكن تقسيمه على أساس لون الثياب والفئة العمرية والمنطقة. فيحصل ذلك وترتفع جدران الفرقة. وفن الثورة هو أنها جاءت وحطمت الجدران الفاصلة. فقد كنا نعيش في بيوت صغيرة بجدران عالية لا نعرف عن بعضنا شيئاً، ثم جاءت الثورة وحطمت الجدران وبدلت هذه البيوت الصغيرة إلى

ميدان رحب؛ هو ميدان الشعب الإيراني والشعب الثوري. كان الجامعيون ينفرون من طلاب الحوزة، وكان الحوزويون كذلك؛ وكان الأساتذة على خصام مع التجار، وكان التجار ينفرون من المزارعين؛ كنا قد بنينا جدرانا عزلتنا عن بعضنا؛ وجاءت الثورة وأزالتها؛ فهل نعود مرة أخرى ونوجدها؟! وهي جدران باطلة وخاطئة. كلا، فالمباني واضحة والأصول مبينة والجهة معروفة؛ فكل من يتحرك على أساس هذه المباني هو من هذه المجموعة؛ فالتفتوا إلى هذا.

لقد قلت مراراً أنه لا يجوز أن نظلم. فهذا الأمر يعد أكثر الأعمال أساساً؛ فالظلم أمر قبيح وخطر. وليس الظلم بأن يعتدي الفرد على غيره وسط الشارع فقط. فأحياناً كلمة في غير محلها ضد شخص لا يستحقها أو كتابة غير مناسبة أو تحرك غير صائب تكون ظلماً. فعلينا رعاية طهارة القلب وطهارة العمل بشكل كبير.

وأظن أنني قلت هذا في محل ما. «بأن الرسول الأكرم لما رجم الرجل بالزنا، قال رجل لصاحبه هذا قعص كما يقعص الكلب، فمر النبي معهما بجيفة فقال: إنهشا منها! قالا: يا رسول الله ننهش جيفة! قال رسول الله: ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذا».. ومن كان هذا الأخ؟ هو الذي كان قد زنا بمحصنة ورجم، وهما يقولان بشأنه ذلك الكلام، والرسول يلومهما بهذه الطريقة!

لا تزيدوا في القول على ما ينبغي. فلنكن منصفين؛ فلنكن عادلين. فهذه مسؤولياتنا. ولا ينبغي أن نعتبر لأنفسنا الحق في أن نقول ما نشاء حول من نعتبره أقل منا ولو بذرة ـ بزعمنا وتشخيصنا لأننا مجاهدون وثوريون. كلا، فالأمر لا يكون كذلك. أجل، إن درجات الإيمان لا تتساوى. وكذلك الحدود

فهناك من هو أفضل من الآخر. والله تعالى يعلم ذلك ومن الممكن أن يعلمه عباده الصالحون؛ ولكن في مقام التعامل وفي مقام الحياة الإجتماعية، ينبغي حفظ هذا الإتحاد وهذا الإنسجام والتقليل من هذه الإختلافات.

فلا ننسى ما هو مهم؛ أي الأهداف والعلائم الأساسية. وقد قلت هذا مراراً واليوم قال أحد الأساتذة المحترمين هذا. مواجهة الإستكبار والثبات القاطع مقابل حركة الكفر والنفاق ليس فقط على صعيد البلد بل على مستوى العالم، والحدود الواضحة بيننا وبين أعداء الثورة وأعداء الدين، فهذه كلها تمثل المعلَم. فلو لم يجعل المرء حداً واضحاً وشفافاً فإنه يكون قد قلل من قدر نفسه، ولو اندفع فإنه سيخرج من الدائرة. فهذه تمثل المباني والخطوط الأساسية. فإن حركة الثورة هي حركة واضحة وتقدمية وسوف تستمر هذه الحركة إن شاء الله.

حسناً، كنت أريد أن أفعل كما فعل السادة على الطريقة التعبوية؛ حيث ذكر كل هذه المطالب في خمس دقائق؛ وأن أذكر كل ما عندي في هذه المدة الطويلة؛ لكن وجدنا أنه لن يصح لنا ذلك، لكن برأيي فإن كل ما هو ضروري قد ذكرناه. فلا أزعجكم أكثر.

نأمل من الله تعالى أن يحفظكم جميعاً ويوفقكم ويزيد من بصيرتكم يوماً بعد يوم. وإن شاء الله توفقون أكثر ويوماً بعد يوم على صعيد الجهاد العلمي والجهاد العملي وفي جهاد نشر البصيرة في محال العلم والبيئة الجامعية والمجتمع أيضا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته